فالمقنع كان «فزّاعة» تستعمل أحياناً للتخويف، فيقف الحاكم العسكري ويقول: «نحن نعرف كل واحد منكم فالمنظم يقف جانباً: الضباط في صف والميليشيا في صف» وهنا لا أقصد أنه لم يكن لعملاء الاحتلال دور في هذا السياق، بل ما أردت توضيحه أن مسألة المقنعين استعملتها إسرائيل كذريعة للصق التهم بأبناء المخيمات والقرى، بهدف تأجيج الصراعات بينهم كي تبقى هي ممسكة بأوضاع المناطق. فهناك العديد من المقنعين شهدوا زوراً على الأهالي من أجل إنقاذ أنفسهم من التعذيب، وبعضهم هدد بالضرب إذا لم «يتقنع»، بل أن بعض الأسرى تلقى عرضاً للإفراج عنه مقابل الوشاية بأبناء بلدته. والبعض حاول الانتقام بسبب ممارسات خاطئة ارتكبت في حقه سابقاً في ظل وجود المقاومة والحركة الوطنية.

وهناك عملاء، وهم أقلية، كانت لهم ارتباطات مشبوهة سابقة على الاجتياح الإسرائيلي، لذلك، فإن وضع المقنعين كافة في سلة واحدة، واعتبارهم عملاء خطأ كبير، فالعديد من الاعتقالات حدثت بدون «مقنعين» وكان على رأس حملات الاعتقال ضباط إسرائيليون، وهو ما جرى في قرى القليلة وطيردبا وتولين الخ. فإسرائيل استفادت من كل تناقضات المجتمع اللبناني والمجتمع الجنوبي بشكل خاص: الخلافات العائلية، والصراعات الطائفية، والخلافات السياسية، والتناقضات العشائرية، وحتى المسائل الشخصية، لدرجة أن مواطناً من بنت جبيل كان قد طلّق زوجته منذ سنوات، فوشت به زوجته المطلقة، وهو اليوم من نزلاء معتقل أنصار! وأحدهم قضى أخوه بحادث سيارة، فوجد ضالته في الاحتلال الإسرائيلي لينتقم من المتسبب، كما أن أحدهم قتل عمه على أيدي مسلحين من حركة أمل، وعندما جاءت إسرائيل «تقنّع» وساعد في اعتقال أبناء بلدته، وفي بلدة الزرارية تحوّل «أبو مشهور» إلى ضابط في جيش حداد لأن المقاومة والحركة الوطنية حرقتا منزله في أحداث ١٩٧٦.

وفي معتقل أنصار وضع حوالي ٤٠ مقنعاً في أحد المعسكرات، وسمعنا أن معارك بالأيدي نشبت بينهم وبين الأسرى.

باختصار، مسألة المقنعين استخدمتها إسرائيل لتفتيت وحدة الجنوبيين، ولتأجيج الصراعات العائلية والعشائرية بينهم طبعاً هذا لا ينفي وجود بعض العملاء الذين لعبوا دوراً مهماً في تسهيل مهمة قوات الاحتلال، وكانوا «مقنعين» حقيقيين في صفوف العدو.

وفي هذا المجال، لا بد من الإشارة إلى أن كبار المتعاونين مع إسرائيل في الجنوب لم يحتاجوا إلى قناع ليخفوا حقيقتهم، كبعض أبناء آل الدايخ، فهؤلاء كانوا يصعدون إلى القرى في وضح النهار، يأخذون من يريدون تنفيذاً لأوامر الاحتلال. فالمسؤولية تقع أولاً وأخيراً على عاتق قوات الاحتلال، أما «المقنعون» فمجرد أدوات رخيصة تنتهي مع رحيل قوات الاحتلال ويتقلص دورها كلياً. وان اسرائيل حتى لو لم تجد وشاة و «مقنعين» فلسوف تعتقل أبناء الجنوب وتذلهم. فالاحتلال الأجنبي يعني دائماً الاعتقال والتهجير والقتل والإبادة.

أهداف الاعتقالات

بعد هذا العرض التفصيلي لرحلة العذاب والإذلال في معتقلات العدو، وبعد أن